١٤ ـ معركة الحجاب في فرنسا

• الخطبة الأولى :

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون :

في الأسبوع الماضي سافرت إلى فرنسا .. إلى باريس ، لأحضر وأشارك في حوار بين المسلمين والفرنسيين ، أو بين مجموعة من الإسلاميّين ومجموعة من المستشرقين معظمهم من الفرنسيّين [١] .

الحوار فريضة إسلاميّة :

ونحن نرحب بالحوار .. بالحوار مع المخالفين ، أيًّا كان هؤلاء المخالفون ، وخصوصاً أهل الكتاب منهم ، فنحن تجمعنا معهم عدّة روابط : أنّهم يؤمنون بالله في الجملة ، ويؤمنون بالنبوّات ورسالات السماء ، ويؤمنون بالآخرة ، ويؤمنون بوجوب عبادة الله ، ويؤمنون بالقيم الروحيّة ، والأخلاقيّة ، فهناك قواسم مشتركة تجمع بيننا وبينهم .

ونحن المسلمين مطالبون بأن ندعو إلى ديننا ، وأن نحاور الآخرين بالتي هي أحسن كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ .. ﴾ [٢] ، فالحوار مع الآخر فريضة إسلاميّة ، دعا إليها القرآن الكريم .

حوار بالتي هي أحسن :

والقرآن هنا يطالب أن يكون الجدال والحوار بأحسن الأساليب ، وأرقّ الوسائل وألطفها ، فإذا كانت هناك وسيلتان أو طريقتان للحوار ، إحداهما حسنة والأخرى أحسن منها ، فنحن المسلمين مأمورون أن نتبع التي هي أحسن .

في الموعظة اكتفى القرآن بأن تكون موعظة حسنة : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ

---

(١) كان ذلك في أكتوبر ١٩٩٤ م ، وكان لمشاركة الشيخ القرضاوي في هذا الحوار أثر إيجابيّ بارز ، فقد استطاع - بحمد الله - أن يقنع الحاضرين بمفاهيم الإسلام الراقية في العديد من الجوانب .

(٢) النّحل : ١٢٥ .

بالحكْمَة وَالموْعظَة الحَسَنَة .. ﴾ ، ولكنّه في الجدال والحوار لم يكتف إلاّ بالتي هي أحسن : ﴿ .. وجَادلْهُم بالَّتى هىَ أَحْسَنُ .. ﴾ ، لماذا ؟ لأن الموعظة تكون مع الموافقين، والحوار والجدال يكون مع المخالفين، ويكفي الموافق أن تعظه موعظة حسنة، ولكن المخالف لابدّ أن تسلك إليه أحسن السبل، حتى تصل إلى قلبه ، وتدخل إلى عقله ، وتحاول إقناعه واستمالته إلى صفّك ، وإلى صراطك المستقيم .

نماذج قرآنيّة من أساليب الحوار :

ومن هنا نجد القرآن الكريم يقول - في حوار المشركين - على لسان النبى ﷺ : ﴿ .. وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِى ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ﴾ (١) ، أحد الفريقين لابدّ أن يكون على هدى والآخر في ضلال مبين ، وهو متأكّد ومستيقن أنّه على الهدى وأنّهم على الضلال ، ولكنه حين يجادل الآخرين لا يقول لهم مباشرة : أنتم على الضلال ، إنّما يخاطبهم بهذه الصيغة : ﴿ .. وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِى ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ﴾ .

ويقول في هذا السياق : ﴿ قُلْ لاَّ تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلاَ نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٢) ، كان مقتضى المقابلة في السياق أن يقول : قل لا تُسألون عمّا أجرمنا ولا نُسأل عمّا تجرمون ، ولكنّ القرآن لم يشأ أن يصفهم بالإجرام ، يريد أن يصل إلى قلوبهم فلم ينسب إليهم الإجرام ، قال عن المسلمين : لا تُسألون عمّا أجرمنا ، ولكنّه لم يقل: ولا نُسأل عمّا تجرمون ، وإنّما قال: ﴿ وَلاَ نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ .

حوار أهل الكتاب :

القرآن يأمر بحوار أهل الكتاب بالتي هي أحسن : ﴿ وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ، وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِى أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (٣) ، أي اذكروا عند الجدال بالتي هي أحسن نقاط الاتفاق .. المواضع التي تتفقون فيها بعضكم مع بعض ، ولا تذكروا نقاط التباين والتمايز والاختلاف ، ليقترب بعضكم من بعض : ﴿ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِى أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (٤) .

---

(١) سبأ : ٢٤ . (٢) سبأ : ٢٥ . (٣) العنكبوت : ٤٦ . (٤) العنكبوت : ٤٦ .

OBEIKAN.COM

على هذا الأساس رحّبتُ بالحوار مع غير المسلمين ، ومع هؤلاء النصارى والمستشرقين .

وفي كتبي دعوتُ إلى الحوار مع كلّ المخالفين : المخالفين في الدين ، والمخالفين في الفكر ، والمخالفين في السياسة ، لسنا مُغلقين ، نحن منفتحون على غيرنا ، وليس عندنا ما نخافه أو نخاف عليه أحدا .

ذهبت إلى باريس ، وبدأنا الحوار ، ولكن كان هناك موضوع حيّ وساخن ، فرض نفسه على ساحة الحوار ، وأخذ منّا معظم الوقت ، ولابدّ أن أشرككم في هذا الأمر .

الحجاب على رأس موضوعات الحوار :

كان هذا الموضوع الحار الساخن هو موضوع (الحجاب) .. حجاب الطالبات في مدارس فرنسا ، هذا الموضوع الذي تتحدث عنه فرنسا كلّها ، ويتابعه الإعلام : مرئيّه ومسموعه ومقروؤه .

هؤلاء التلميذات .. الطالبات اللآئي يردن أن يلتزمن بتعاليم دينهنّ ، وأحكام شرعهنّ ، وفرض ربّهنّ ، في غطاء الرأس [1] .

الحجاب مفروض فى محكم القرآن :

يُراد بالحجاب : الخمار .. تغطية الرأس ، وهذا أمر فرضه الله تبارك وتعالى في محكم القرآن ، حيث يقول عزّ وجل في سورة (النّور) : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا [وما ظهر منها على ما رأى ابن عباس وغيره من الصحابة والتابعين : الوجه والكفّان ، أو الكحل والخاتم ، فما عدا ذلك ينبغي أن يُستر ويُغطّى] ، وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ .. ﴾ [2] .

الخمار هو غطاء الرأس ، فلا بدّ للمسلمة أن تغطى بخمارها على جيبها ، أي

---

(١) كلمة (الحجاب) أصبحت تستعمل الآن هذا الاستعمال ، وإن كان استعمالها اللّغوي غير ذلك .

(٢) النّور : ٣١ .

: على فتحة الصدر .. وفتحة الجيب .. القميص ، فقد كان نساء الجاهلية يبدين هذا النّحر وهذا الصدر لتظهر فيه القلائد والزينة وغير ذلك .

فجاء الإسلام يأمر بضرب الخمار على الجيوب : ﴿ .. وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ، وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ ... ﴾ [1] إلخ ، وذلك في الزينة الباطنة ، ﴿ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ، وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [2] ، جاء هذا في سورة (النور) .

وجاء في سورة (الأحزاب) : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ ، ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [3] ، لتعرف المسلمة الجادّة من اللّعوب العابثة ، لتعرف المسلمة العفيفة المحصنة من تلك التي تحاول إغراء الرجال ولفت الأنظار والانتباه إليها .

هذا أمر الله تبارك وتعالى في كتابه للمؤمنات ، فلا عجب أن تلتزم أولئكم الطالبات المسلمات المؤمنات في فرنسا بهذا الأمر ، وأن يذهبن إلى المدارس بهذا الخمار أو بهذا الحجاب .

موقف المتعصبين من مديري المدارس في فرنسا :

ولكن - للأسف - جُنّ جنون هؤلاء من مديري مدارس البنات المتعصبين ، وقامت قيامتهم ولم تقعد ، وحاولوا منع هؤلاء الطالبات المسلمات ، وأرادوا أن يفرضوا عليهنّ أن يتخلّين عن الحجاب ، ولماذا ؟ قالوا : لأنّ الحجاب رمز دينيّ ، ونحن لا نسمح بالرموز الدينيّة ، ولا نريد هذه الرموز الدينيّة المعبّرة عن شخصيّات دينيّة مختلفة !!

هل الحجاب رمز دينيّ كالصليب ؟ :

قلت لهم : هذا ليس بصحيح ، الحجاب ليس رمزاً دينيًّا ، الرمز ما ليس له وظيفة إلاّ أنّه شعار وإعلان مثل : الصليب على صدر النصرانّي ، ونجمة داود

---

(١) النور : ٣١ . (٢) النور : ٣١ . (٣) الأحزاب : ٥٩ .

OBEIKAN.COM

السداسية على صدر اليهوديّ ، والطاقية المعروفة على رأس اليهودي ، هذه هي الرموز الدينيّة لأنّه لا وظيفة لها إلاّ الإعلان .

ولكن هذا الحجاب له وظيفة ، وهو وظيفة الستر والحشمة ، وهذا أمر من الله للمسلمة ، فكيف تفرضون على المسلمة أن تتخلّى عن فرض من فروض دينها ؟ أين الحرّيّة الشخصيّة ؟ وأين حرّيّة التديّن التي توفرّها دساتيركم ، والتى يحميها ميثاق حقوق الإنسان ، وتحميها مواثيق الأمم المتحدة ؟؟! .

أنتم بلاد الثورة التي نادت بالحرية كما تزعمون ، وتقولون عن فرنسا : أمّ الحرّيّات ! أين هي الحرّيّة إذا لم يكن للمسلمة الحق في حرّيّتها الشخصية : أن تلبس ما تشاء ؟ وحرّيّتها الدينيّة : أن تلبس ما يطلبه منها دينها ؟! كما أنّ هناك من النساء ومن البنات من يلبسن القصير والمينى والميكرو ومثل هذه الأشياء ، ولا تعترضون عليهنّ ، لماذا تعترضون على الفتاة المسلمة ؟!

أين حرّيّة التديّن إذا لم تمارس المسلمة حقّها ؟! وهو واجب عليها في دينها ، وليس مجرّد حقّ لها .

التسامح الإسلامي بلغ القّمة :

ألا ترتقون إلى المستوى الذي ارتقي إليه الإسلام ؟

الإسلام بلغ الغاية ، وبلغ الذروة في التسامح مع المخالفين .

هناك درجة دنيا في التسامح : أن تتسامح مع الإنسان المخالف لك فيما يوجبه دينه عليه ، لا تفرض عليه أمرًا يحرّمه دينه ، ولا تلزمه بأمر يتخلّى به عن واجب من واجبات دينه ، هذه هي الدرجة الأولى في التسامح .

ولكن هناك درجة أرقى وأعلى ، وهي : أن تتسامح مع مخالفك فيما هو مباح له في دينه ، وليس واجباً ، وليس فرضا .

وهذا ما صنعه المسلمون في أمور مباحة أو يعتقد أهل الكتاب من النصارى أنّها مباحة في دينهم ، مع أنّ الإسلام يحرّمها أشدّ التحريم ، وذلك مثل أكل الخنزير وشرب الخمر ، فقد أجاز المسلمون جميعاً لأهل الكتاب أن يأكلوا الخنزير ، وأجاز جمهورهم أن يشربوا الخمر ، ما داموا لا يروّجون هذه الأشياء بين المسلمين ، والكلمة المأثورة عن الصحابة في ذلك : اتركوهم وما يدينون .

شيىء مباح لا يوجبه الدين عليهم - فلم يوجب الدين على المسيحى أن يأكل

OBEIKAN.COM

الخنزير ولا أن يشرب الخمر ولكن أباح له ذلك [1] - وهو محرّم في الإسلام ، ومع هذا تسامح المسلمون في هذا وقالوا : لا نضيقّ عليهم في أمر أباحه لهم دينهم · فكيف تريدون أنتم من المسلمين أن يتخلّوا عن فرض ربّانيّ ، وواجب شرعي ، وحكم دينيّ من أحكام الإسلام ؟! أين التسامح الذي تدّعون ؟!

أين أنتم من الحضارة الإسلاميّة ؟ :

لماذا لا تقلّدون الحضارة الإسلاميّة ؟ تلك الحضارة التي وسعت الأديان ، ووسعت الثقافات ، وشاركت فيها عناصر شتّى ، منهم يهود ، ومنهم نصارى ، ومنهم سريان ، ومنهم عروق وأديان مختلفة ، ولم تفرض على غير المسلمين ولا على غير المسلمات مالا يفرض عليهم دينهم ·

كان غير المسلمات يعشن في المجتمع الإسلامي حاسرات الرؤوس ، لم يفرض عليهنّ الإسلام أن يغطّين رؤوسهنّ لماذا لا تفعلون مثلها فعلت الحضارة الإسلاميّة ؟ لماذا لا تقبلون التنوع والتعدّد ، والتنوّع إثراء للحضارة ، وهذا أمر مطلوب ؟ ·

كيف تلزمون المسلمة بضدّ ما ألزمها الله تعالى به ؟!

أين الحرّيّة ؟

أين الحقوق ؟

أين الحرمات ؟

أين كرامة الأفراد ؟

بلاد المسلمين التي تمنع الحجاب :

هذا ما قلناه للقوم ، وحاولوا أن يتملّصوا من هذا الأمر ، وقال بعضهم فيما قال : إنّ الحجاب ليس واجباً دينيّاً ، وليس فرضاً شرعياً ، بدليل أنّ هناك بلاداً إسلاميّة تمنع الحجاب ! وضربوا مثلاً لذلك بـ (تركيا) و (تونس) ·

فقلت لهم : إنّ هذه ليست بلاداً إسلاميّة ، هذه بلاد علمانيّة ، العلمانية هى الحاكمة فيها ، والمسلمون لم يسلّموا في تركيا إلاّ بعد أن ضحّوا بالآلاف ومئات الآلاف ، وقاوموا هذه العلمانيّة التي فُرضت علي المجتمع ، علمانيّة التشريع ،

---

(١) بل إنّ بعض النصارى ينازع في إباحة شرب الخمر في دينهم ، ولهم في ذلك وجهة نظر يدلّلون على صحّتها ·

OBEIKAN.COM

وعلمانيّة التعليم ، وعلمانيّة الثقافة ، وعلمانيّة الإعلام ، وعلمانيّة التقاليد ، كلّها فرضت بالحديد والنّار .

(خلع الحجاب) فرضه أتاتورك وحزبه فرضاً ، وأصبح مفروضاً على المسلمة لعقود من السّنين تحت نير العلمانيّة المتجبّرة : ألاّ تتحجب ، ولكن هذا ليس من الإسلام في شيىء .

وتونس ، تبيح الزني وتحرم تعدد الزوجات ، وتعتبر الحجاب جريمة ، لا تجيز للمسلمة دخول المدرسة أو الجامعة أو تولى أيّ وظيفة حكوميّة ، بل تمنع المحجبة من العلاج في أيّ مستشفى حكومي ، حتى الحامل لا تدخل مستشفى الولادة إلاّ بعد أن تُجبر على خلع الحجاب !

هذه البلاد التي تمنع الحجاب تخالف أمر الله ، وتحادْ الله ورسوله ، جهاراً نهاراً ، عيانا بيانا ، صراحة لاشكّ في ذلك ، ولم يعرف هذا قبل عصر العلمانيّة فى زمننا .

البلاد الإسلاميّة أنواع :

هناك بلاد تلزم الطالبة المسلمة بالحجاب ، وذلك مثل السعوديّة ، ومثل قطر في مدارسها ، ومثل السودان ، ومثل إيران .

وهناك بلاد تدع هذا الأمر حرّيّة شخصيّة ، من أرادت أن تتحجّب فلتتحجب كما في مصر ، وعندما أراد وزير التعليم في مصر أن يصدر قراراً فيه مساس بهذه الحرّيّة ، هاج الناس وثارت الدنيا ، وقامت ولم تقعد ، حتى اضطرّ الوزير أن يتنازل عن قراره ويقول : لا تمنع محجّبة من الدخول إلى مدرسة ، وهذا هو معنى العلمانيّة .

وهذا ما قلناه لهم : إنّ العلمانيّة هي التي تدع الناس أحراراً في مسائل الدين .

والنوع الثالث من البلاد الإسلاميّة هو الذي يحارب الحجاب ، وأنا أقول : بلاد إسلاميّة ، أي أنّ شعوبها إسلاميّة ، وإن لم تكن أنظمتها إسلاميّة .

هذه البلاد هي التي تمنع الحجاب وتعتبره جريمة ، ولا تسمح للطالبةْ في المدرسة أو في الجامعة أو في أيّ وظيفة من وظائف الحكومة أن ترتدي الحجاب وتلبس الخمار !

OBEIKAN.COM

يُسمح للمتبرّجة أن تلبس ما تشاء ، يُسمح للكاسيات العاريات المائلات المميلات أن يدخلن المدارس والجامعات ، وأن يوظّفن في سائر وظائف الدولة ، إلاّ المسلمة الملتزمة بالحجاب !

بل يوجبون على المرأة إذا أرادت أن تدخل مستشفى للعلاج أو للولادة ، أن تخلع الحجاب قبل أن تعمل العملية الجراحيّة أو نحو ذلك !

الأصل في العلمانيّة الحياد مع الدين :

وهذا عجب ، فالأصل في العلمانيّة أنّها تقف موقفاً محايداً من الدين . هذه هي العلمانيّة اللّيبراليّة كما يسمّونـها ، لا تؤيدّ الدين ولا ترفضه ، لا تواليه ولا تعاديه ، تدع الناس أحرارا ، هي لا تدرّس لهم الدين ولا تعلّمهم الدين ، ولا تقف من الدين موقفاً إيجابيًّا ، لا موقف التأييد ولا موقف الرفض .

العلمانيّة المعادية للدين :

هناك علمانيّة أخرى : العلمانيّة الماركسيّة الشيوعيّة ، هي التي تقف موقفاً مضاداً من الدين ، مناقضاً للدين ، معادياً للدين ، لأنّ الدين في نظرها أفيون الشعوب ومخدّر الجماهير ، والأصل أنّها ضد الدين .

ولكن أنتم يا دعاة العلمانيّة الليبرالية لماذا تعادون الدين وتعادون أحكامه الملزمة في الشؤون الشخصيّة ؟! دعوا الناس أحراراً في حياتهم الشخصيّة ، ولا تتدخّلوا فيها رغم أنوفهم .

هذه المسلمة التي اختارت الحجاب طوعاً وبإرادتها ، لماذا تُقسر قسرًا ، وتُقهر قهرًا ، على أن تخلع حجابها ؟! ليس هذا من العلمانيّة التي نعرفها عندكم يا آل فرنسا .

هل الحجاب أمر جديد على الحياة الإسلاميّة ؟ :

قالوا أيضا : هذا الحجاب أمر جديد على المسلمات ، جاء به الأصوليّون المسلمون ! وخلال السنوات وعشـرات السنوات الماضية ، لم يكن هناك هذا الحجاب ، وكانت المسلمة كغيرها من النساء ، تخرج متبرّجة لابسة الملابس الإفرنجيّة وملابس الحضارة الحديثة ، لا تُميز مسلمة من غير المسلمة .

قلت لهم : هذا صحيح ، ولكن هذا كان بتأثير الاستعمار العربى على الحياة الإسلاميّة .

OBEIKAN.COM

ظلّت المسلمة ثلاثة عشر قرناً ، لم يعرف خلال هذه القرون أنّ مسلمة واحدة خلعت غطاء رأسها ، هذا ما لم يحدث طوال التاريخ .

بل كانت المرأة المسلمة لو حدث منها حركة اضطراريّة سقط بها حجابها أو طار منها ، تعتبر نفسها كأنّها عارية ، وتحاول أن تغطي رأسها بأيّ شيء .

هذا ما كان عليه المسلمات خلال القرون ، حتى دخل الاستعمار الغربيّ بلاد المسلمين ،وبدأ يغيّر الشخصيّة الإسلاميّة ، ويغيّر معالم الأمّة ومعالم هويّتها ، ويفرض سلوكه بمؤثّرات شتّى ، فبدأ تقليد الخواجات والأجانب ، الطبقة العليا من القوم بدأن يقلّدن نساء الخواجات ، ثمّ الطبقة التي بعدهنّ ثمّ التي بعدهنّ ، حتى أصبح هذا في وقت من الأوقات أمرًا شائعًا .

كنّا في وقت من الأوقات .. في الستينيات من هذا القرن ، يمرّ الإنسان في العواصم الكبرى في البلاد العربيّة والإسلاميّة ، فلا يكاد يجد امرأة محجّبة ، تجدها عجوزاً أكل الدهر عليها وشرب ، ومع هذا تلبس ما يسمّى : (الجبونيز) أو (الميني) أو (المكرو) أو هذه الأشياء ، هذا بتأثير الاستعمار ، وبتأثير سلطان الحضارة الغربيّة الماديّة الإباحيّة .

عودة المسلمات إلى الحجاب حركة نسائيّة تحرريّة :

الآن بعد الصحوة الإسلاميّة المعاصرة ، بعد أن امتدّ هذا البعث الإسلامي شرقاً وغربًا ، وشمالاً وجنوبا ، بعد أن اكتشف المسلمون واكتشفت المسلمات ذواتهم وذواتهنّ ، وعرفوا من هم ، بدأت المسلمة تعود إلى رشدها ، وترجع إلى ربها ، وتلتزم الحجاب طواعية ، هي حركة نسائية إسلاميّة طوعيّة اختياريّة إراديّة تحرريّة ، فكثيرًا ما التزمت الفتيات هذا الأمر برغم آبائهن وبرغم أزواجهنّ .

أجل هي حركة تحرريّة ، استردّت المسلمة شخصيتها الحقيقيّة ، واستعادت الثقة بنفسها ، وتمرّدت على التقليد الأعمى للحضارة الغربيّة ، والمرأة الغربيّة .

كانت المسلمة قبل ذلك تقلّد المرأة الغربيّة ، وتمشي وراءها ، وتتبّع سننها ، شبرًا بشبر ، وذراعًا بذراع ، كما ذكر لنا النبي ﷺ : « حتى لو دخلوا جحر ضبّ تبعتموهم » [1] أي أصبح جحر الضبّ (مُودة) ينبغي أن يسلكها الجميع ، وتظهر (مودة) اسمها : مودة جحر الضب !

---

(١) ونصّه كاملاً : « لتتبعنّ سنن من قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراعٍ ، حتى لو =

ولكن المسلمين خرجوا من جُحر الضب ، خرجوا من قوقعة التقليد إلى باحة الحرّيّة ، تحرّروا من الاتّباع ،وبدأت المسلمة تعود إلى دينها .

دعوى أنّ مفكّرين مسلمين أنكروا الحجاب :

وقال هؤلاء فيما قالوا : إنّ هناك من مفكّرى المسلمين وعلمائهم من يقول : إنّ الحجاب ليس من الإسلام !!

قلت لهم : من هؤلاء الذين يزعمون أنّهم مفكّرون ؟ هناك قوم دخلاء على العالم الإسلامي وعلى الفكر الإسلامي ، يُراد تلميعهم ،ويُراد إعطاؤهم ألقاباً جديدة: المفكّر الإسلامي - العالم الإسلامي،وهو لا يفقه من الإسلام شيئا،ما درس القرآن ، ولا درس السنّة ، ولا درس الأصول ، ولا درس العربيّة ، ولا غاص في بطون الكتب الإسلاميّة ، ومع هذا يُدّعى له لأنه مفكّر ، ويأتي أحدهم ليقول : إنّ هذا كان في أيّام البعثة ، أراد القرآن أن يُعالج وضعاً معيّناً ، وقد زال هذا الوضع!!

كأنّ القرآن إنّما أُنزل لبضع سنوات ، ثمّ يجب أن يُشطب ويُنسخ ولا يُعمل به بعد ذلك .

هذا القرآن .. كتاب الله ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، كتاب محفوظ : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١) ، يخاطب الأمّة فى عصر النبوّة ، وفي عصر الصّحابة ، وفي سائر العصور ، وإلى أن تقوم الساعة .

والأمّة ملزمة بأحكام ربها ، لا يغنيها عن ذلك شيىء: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمَ ﴾(٢)،

= دخلوا جحر ضبّ تبعتموهم ، قلنا يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟! » متفق عليه من حديث أبى سعيد الخدري (شرح السنة للبغوي : ١٤ / ٣٩٢ برقم ٤١٩٦) ، وروى الحاكم عن ابن عباس : « لتركبنّ سنن من كان قبلكم شبرًا بشبر،وذراعًا بذراع حتى لو أنّ أحدهم دخل جحر ضبّ لدخلتم ، وحتى لو أنّ أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه » ورمز له السيوطيّ بالصّحّة (الجامع الصغير : ٢ / ١٢٢ - ١٢٣) ، قال العلاّمة المناوي : رواه الحاكم في الإيمان عن ابن عباس وقال : على شرط مسلم ، وأقرّه الذهبي ، ورواه عنه أيضاً البزّار ، قال الهيثمي : ورجاله ثقات (فيض القدير : ٥ / ٢٦١ - ٢٦٢ برقم٧٢٢٤) .

(١) الحجر : ٩ .

(٢) الأحزاب : ٣٦ . وتتمّتها : ﴿ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِينًا ﴾ .

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

ولقد وجدنا من هؤلاء العصريّين من ينكر تحريم الخمر ، وهي من قطعيّات الدين ، وممّا علم منه بالضرورة ، ومن ينكر تحريم الربا ، وهو ممّا أجمعت عليه الأمّة بكلّ مذاهبها وطوائفها .

فليقل هؤلاء الشاردون المحرّفون ما شاؤوا ، فالقرآن والسنّة وإجماع الأمّة طوال قرونها حجّة عليهم ، ولا تجمع هذه الأمّة على ضلالة .

الحكّام الذين أنكروا وجوب الحجاب :

وقالوا فيما قالوا : إنّ هناك من حكّام المسلمين من قال : إنّ الحجاب ليس بواجب !!

قلنا لهم : حكّام المسلمين هؤلاء ليسوا حجّة على الإسلام ، بل الإسلام حجّة على الحكّام وعلى المحكومين ، الإسلام هو القرآن والسنّة ، الإسلام هو إجماع الأمّة وخاصّة في خير قرونها ، أمّا هؤلاء المبتدعون ، المتنكّرون للشريعة ، المقلّدون للخواجات ، فلا عبرة بهم ولا وزن لهم .

ما قيمة حاكم يقول : الحجاب هو أمر يتبع التقاليد ، يتبع العرف ، وأنا بناتي يسبحن في الحمّامات مع الرجال ، ويلعبن الرياضة في المتنزّهات ، وفي الأندية أمام أعين الرجال ؟! ما قيمة هذا الحاكم ؟ مهما يكن أمره فإنّ الإسلام حجّة عليه ، الإسلام يعلو ولا يُعلى .

لهذا سقطت كلّ تلك الشبهات التي أثارها هؤلاء وبقي الحجاب فرضًا دينيًّا ، وواجبًا شرعيًّا ، يجب أن تُمكّن منه المسلمة .

موقف مخجل للمسؤولين المسلمين :

ومن المؤسف أنّ أحدًا من المسؤولين في بلاد الإسلام ، لم يُثر هذا الأمر مع هؤلاء ، لم تحتج دولة إسلاميّة ، لم يُثر هذا الموضوع ، حتى إنّ وزير الخارجيّة الفرنسي زار عددًا من البلدان العربيّة ولم أر صحفيًّا أحرجه وسأله : ما هذه الضجّة التي تقيمونها على حجاب الطالبات المسلمات في فرنسا ؟

---

(١) النور : ٥١ .

OBEIKAN.COM

لم نر أحداً اهتمّ بهذا الأمر ، كأنّ المسلمين أصبحوا جماعة مفككة ، لا يهتمّ بعضهم بأمر بعض ، و « من لا يهتمّ بأمر المسلمين فليس منهم ، ومن لم يصبح ، ويمسى ناصحاً لله ، ولرسوله ، ولكتابه ، ولإمامه ، ولعامّة المسلمين ، فليس منهم » (١) .

إنّها عقدة من رواسب الحروب الصليبيّة :

قلنا لهؤلاء : هب أنّ هذا رمز كما تدّعون - وهو ليس برمز وإنّما له وظيفة ووظيفته السّتر والحشمة - أتمنعون من يضع الصليب على صدره ؟ أتمنعون اليهوديّ الذي يضع الطاقية على رأسه ؟ أتمنعون السيخيَّ الذي يلبس عمامته ولا يخلعها ؟ حتي أنّهم عندما يصّرحون لمن يركبون الدراجات الناريّة يلزمونه أن يكون معه خوذة وهذا السّيخيّ لا يمكن أن تدخل الخوذة مع العمامة في رأسه ، ومع هذا يسمحون له، لأن هذا أمر من أمور دينه ، لماذا تتسامحون مع كلّ أهل الأديان إلاّ المسلمين إذن ؟!

قلنا لهم : الأمر إذن فيه شيىء ، إذا سمحتم لنا أن نقول بصراحة وحريّة : هذا راسب من رواسب الحروب الصليبيّة ، هي عقدة قديمة مع الإسلام والمسلمين يجب أن تتحرروا منها .

لا ينبغي - إذا كنّا نريد أن نتحاور بحقّ - أن نتحاور ونفوسنا مليئة بالعقد ، يجب أن نحلّ هذه العقد وأن نتعامل معًا ونتحاور معًا ندًّا لندٍّ .

نحن أبناء اليوم لا بقايا الأمس ، دعونا من الحروب الصليبيّة وما حدث فيها ، ولنبدأ صفحة جديدة .

أمّا إذا أصررتم على أن تعاملوا المسلمين بهذه الروح ، فلن يُفلح حوار ، ولن يفلح لقاء .

لماذا الخوف من الإسلام ؟ :

لماذا تخافون الإسلام ؟ ما هذه المقولات التى تظهر ما بين الحين والحين تحمل التخويف من الإسلام .. التخويف ممّا سمّوه : الخطر الأخضر ؟

---

(١) رواه الطبراني عن حذيفة بن اليمان ، من رواية عبد الله بن أبى جعفر الرازي وهو مختلف فيه ، فقد ضعّفه بعضهم ووثقه آخرون ، ويشهد للحديث أحاديث أخرى (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢ / ٥١٤ برقم ٩٩٧) .

OBEIKAN.COM

لقد زال الخطر الأحمر بزوال الاتحـــاد الســـوفيتي ٠٠دولة الشرّ كما سمّاها (ريجن) ، وزال الخطر الأصفر الصيني بتقارب الصين مع الغرب ، قالوا : وبقي خطر واحد ، هو المخوف وهو المرعب وهو المهدِّد ، وهو خطر الإسلام !

وعلى هذا وقفوا جميعاً مع الصرب ضد المسلمين في البوسنة والهرسك ، وقف معهم الكاثوليك الفرنسيّون ، ووقف معهم البروتستانت البريطانيون ،ووقف معهم الأرثوذكس الروس واليونان ، وقفوا جميعًا لتأييد هؤلاء الذين يقولون عن أنفسهم : نحن فرسان الصليب ، نحن ندفع عن أوربّا خطر الإسلام الزاحف إليها ، نحن نقدّم خدمة للغرب كلّه فيجب أن يساعدنا الغرب ٠

وقد ساعدهم الغرب بالفعل ٠

هذا هو للأسف ما يجري ٠

إنّ الإسلام يفتح ذراعه للجميع ، وهو ليس خطرًا إلاّ على الماديّة والإلحاد ، وعلى الإباحيّة والفساد ٠

ليس الإسلام خطرًا ، ولكنه رحمة الله للعالمين : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

ولن ينقذ البشريّة المعذّبة ٠٠ الحائرة ٠٠ القلقة ذلك القلق المَرَضِيّ ، لن ينقذها ممّا تعاني من أزمات وويلات ، إلاّ هذا الإسلام ، يوم يحمله مسلمون ٠٠ صادقون ٠٠ واعون ٠٠ صدقوا الله ما عاهدوه عليه : ﴿ ٠٠ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَى نَحْبَهُ ، وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ، وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ (٢) .

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل يوم المسلمين خيرًا من أمسهم ، وأن يجعل غدهم خيرًا من يومهم ، وأن يغفر لنا ما مضى ، ويصلح لنا ما بقي ، إنه سميع قريب ٠

أقول قولي هذا - أيّها الإخوة والأخوات - وأستغفر الله تعالى لي ولكم ، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم ، وادعوه يستجب لكم ٠

* *

---

(١) الأنبياء : ١٠٧ ٠

(٢) الأحزاب : ٢٣ ٠ وأوّلها : ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ ﴾ ٠

● **الخطبة الثانية :**

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون :

جنون إسرائيل بعد الضربات الفدائيّة :

جُنّ جنون إسرائيل ، بعد أن ضُربت تلك الضربات الفدائيّة القويّة في عُقر دارها .. في تل أبيب ، وفي القدس التي تحكمها ، ضربات الشباب الذين باعوا أنفسهم لله ، وضحّوا بها رخيصة ليؤدّبوا إسرائيل .

وهي الآن تحاول الانتقام .

دمّرت بيت الشاب الفدائيّ المؤمن الذى ضحّى بنفسه لله عزّ وجلّ ، وتريد الآن أن تحاصر وتعلن الحرب ، سرّيّة وعلنيّة ، واتخذت من الخطوات ما تريد به القضاء على الحركة الإسلاميّة .. حركة المقاومة الإسلاميّة (حماس) .

تريد إسرائيل أن تحتلّ الأرض ، وتنتهك العرض ، وتشرّد الأهل ، ولا يقف أحد ضدّها .

ماذا أخذ الفلسطينيون منها إلى الآن ؟ كلامًا ووعودًا ، ولم يحصلوا منها على شيىء ذى بال للأسف .

ولهذا لابدّ أن تظلّ المقاومة حيّة وقائمة ، لا بدّ أن يظلّ الجهاد ، ولا يمكن أن تُستردّ الحقوق إلاّ بالجهاد .

فلسطين كلّها أرض إسلاميّة ، واغتصاب اليهود لها لا يعطيهم الحقّ ولا المشروعيّة في البقاء فيها ، هم أخذوها بالقوّة فيجب أن يُطردوا منها بالقوّة .

قد يفعل الساسة ما يفعلون، ويرضخون لما يرضخون، ولكن أحكام الشرع باقية .

أرض الإسلام يجب أن تظلّ أرضًا للإسلام .

أرض الإسراء والمعراج ،أرض النبوّات ، والأرض التي بارك الله فيها للعالمين ، ووصفها القرآن بالبركة في ستّة مواضع ، هذه الأرض يجب أن تظلّ إسلاميّة .

قالوا : الأرض مقابل السلام !

أيّ أرض وأيّ سلام ؟!

أرضنا مقابل سلامهم ! يجب أن نسلّمهم أرضنا ، أو نسمح لهم بالبقاء في أرضنا ، أو نسمح لهم بمشروعيّة امتلاك أرضنا ، في مقابل أن يعيشوا في سلام !

OBEIKAN.COM

أيّ صفقة هذه ؟!

ومع هذا فما سلّموا الأرض إلى اليوم ، يريدون سلاماً بلا مقابل .

ولهذا ينبغي أن يظلّ الجهاد ، وأن تظلّ المقاومة .

وما دام هناك شباب باعوا أنفسهم لله ، ووضعوا رؤوسهم على أكفّهم ، وأرواحهم في أيديهم ، وقالوا : يا رياح الجنّة هبّي ، ويا خيل الله اركبي . ما دام هذا الشباب المؤمن الذي لا يُبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه ، هؤلاء الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة ، وقد باعوا وأرادوا أن يسلّموا حتى يستحقّوا الثمن ، ما دام هؤلاء الشـــباب باقين ماضـــين فى طريقهم ، فنحن بخير إن شاء الله .

وليفعل اليهود ، ولتفعل إسرائيل ما تشاء ، ولتهدّد ما تهدّد ، فإنّها لن تقف ذلك الفدائيّ الذى لا يُبالي ما يصيبه في سبيل الله :

ولست أبالي حين أُقتل مسلمًا على أيّ جنب كان فى الله مصرعي

اللهّم انصر الإسلام وأعزّ المسلمين .

اللّهّم اجعل كلمة الإســلام هي العليا ، واجعل كلمة أعداء الإسلام هي السّفلى .

اللّهّم انصر إخواننا المجاهدين في سبيلك في فلسطين ، وفي لبنان ، وفي كشمير ، وفي البوسنة والهرسك ، وفي كلّ مكان من أرض الإسلام .

اللّهّم عليك باليهود الغادرين ، اللّهّم عليك بالصربيّن الحاقدين ، اللّهّم عليك بالوثنيّن المتعصّبين ، اللّهّم عليـــك بأعدائك أعداء الدين ، اللّهّم ردّ عنّا كيدهم ، وفلّ حدّهم ، وأدل دولتهم ، وأذهب عن أرضك سلطانهم ، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المؤمنين ، اللّهّم أنزل عليهم بأسك الذي لا يردّ عن القوم المجرمين ، اللّهّم خذهم ومن ناصرهم أخذ عزيز مقتدر .

اللّهّم أيد إخواننا المضطهدين في سبيلك ، اللّهّم أمدّهم بملأ من جندك ، وأيدهم بروح من عندك ، واحرسهم بعينك التى لا تنام ، واكلأهم في كنفك الذي لا يُضام .

OBEIKAN.COM

﴿ . . رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (١) .

﴿ . . رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢) .

اللهم اجعل هذا البلد آمنا مطمئناً ، سخاء رخاء وسائر بلاد الإسلام .

اللّهمّ ارفع مقتك وغضبك عنّا ، ولا تسلّط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا ، ولا تهلكنا بما فعل السفهاء منّا . اللّهمّ آمين .

عباد الله ، يقول الله تبـــارك وتعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٣) .

اللّهمّ صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمدّ وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

﴿ . . وَأَقِمِ الصَّلاَةَ ، إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ ، وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٤) .

* * *

(١) آل عمران : ١٤٧ .
(٢) الحشر : ١٠ .
(٣) الأحزاب : ٥٦ .
(٤) العنكبوت : ٤٥ .

OBEIKAN.COM

١٥ ـ منع كتاب (الحلال والحرام) في فرنسا [١]

• **الخطبة الأولى :**

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون :

طلب إليّ بعض الإخوة أن أحدّثكم في قصّة كتابي (الحلال والحرام في الإسلام) ، ومنعه من وزارة الداخليّة الفرنسيّة ، وأسباب هذا المنع ، وقد نشر ذلك في عامّة الصحف ووسائل الإعلام .

تساؤلات من أنحاء العالم حول منع الكتاب :

والحقيقة أنّي طوال هذا الأسبوع كنت في شغل شاغل حول هذا الأمر ، منذ مساء الجمعة الماضية ، والاتصالات الهاتفيّة والاتصالات برسائل (الفاكس) من العالم العربي ومن العالم الأوربي ، ومن أمريكا ومن غيرها ، تسأل ، عن سرّ هذا المنع ، ما الذي في الكتاب حتى يُمنع ؟

الكتاب كتاب للتعليم لا للمواجهة :

قلت لهم : في الحقيقة إنّني في غاية الاستغراب والدهشة ، لا أجد في الكتاب شيئاً يمكن أن يكون سببًا للمنع ، هذا كتاب تعليمي ، وليس كتاب مواجهة ، كتاب يعلّم المسلمين ما ينبغي أن يكون عليه سلوك المسلم في حياته الفرديّة ، وفي حياته الأسريّة ، وفي حياته العامّة ، في كلّ ما يتعلّق بفكرة (الحلال والحرام) في هذه الأمور ، وهي فكرة أساسيّة في كلّ دين .

الكتاب مُتهم من المتشدّدين بالتساهل والتيسير :

لا يتعرّض الكتاب للمواجهة ولا يدعو إلى عنف ، وليست لهجته لهجة

---

(١) في يوم الجمعة ٥ / ١٢ / ١٤١٥ هـ - ٥ / ٥ / ١٩٩٥ م فوجيء المسلمون والعالم الإسلامي بقرار وزير الداخليّة الفرنسي (شارل باسكوا) بمصادرة كتاب (الحلال والحرام في الإسلام) للشيخ القرضاوي ، واعتبر القرار الذى نشر في الجريدة الرسميّة الفرنسيّة إنّ « تداول هذا الكتاب في فرنسا من شأنه أن يتسبّب في أخطار للأمن العام ، نظراً إلى نبرته المعادية للغرب وأفكاره المخالفة للقوانين والقيم الأساسيّة التي تقوم عليها الجمهوريّة الفرنسيّة » !! .

OBEIKAN.COM

تشنّج ، بل لهجة تسامح وتيسير ، والذين انتقدوا هذا الكتاب من المسلمين إنّما انتقدوه لأنّه كتاب ميسّر ، وكتاب متسامح أكثر من اللازم ، حتى قال بعض الإخوة المتشدّدين على سبيل النكتة : هذا كتاب (الحلال في الإسلام) ، إشارة إلى أنّه كتاب يضيّق دائرة المحرّمات .

ولمّا سُئلتُ - في دولة البحرين - منذ عدّة سنوات : مالك تميل إلى تضييق المحرّمات ؟ قلت هم : لست أنا الذى يميل إلى تضييق المحرّمات ، الإسلام هو الذي ضيقّ في المحرّمات ، المحرّمات محدودة ، وكلّ ما عدا ذلك مباح ، فالأصل في الأشياء الإباحة ، والنبي ﷺ يقول : « ما أحلّ الله في كتابه فهو حلال ، وما حرّم فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عفو ، فاقبلوا من الله عافيته ، فإنّ الله لم يكن لينسى شيئا » ثمّ تلا النبي ﷺ قول الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [1] ، هذا هو الحديث الذي رواه أبو الدرداء عن النبي ﷺ [2] .

الكتاب مُتهم بالتساهل والتيسير والتسامح ، فكيف يمنع مثل هذا الكتاب ؟!

الكتاب ليس ابن اليوم :

ثمّ إنّ هذا الكتاب ليس ابن اليوم ولا وليد الأمس إنّ له نحو ستّ وثلاثين سنة يوزّع ويُنشر في آفاق العالم الإسلامي كلّه .

نُشر باللغة العربية في مصر .. في لبنان .. في سوريا .. فى الجزائر .. في المغرب .. في الكويت .. حتى في أمريكا .

أعتقد أنّه نُشر بالعربيّة ما لا يقلّ عن خمسين مرّة ، بعضها بإذن المؤلّف ، وبعضها من غير إذنه .

ترجمة الكتاب إلى لغات العالم المختلفة :

ثمّ ترجم إلى لغات عدّة ، لا أكاد أعـــرف لغة ذات قيمة إلاّ وتُرجم إليها الكتاب ، أحياناً بإذن المؤلّف ، وأحياناً بغير إذنه .

كنت منذ سنوات في اجتماع منظمة الدعوة الإسلاميّة في (أوغندا) وفي

---

(١) مريم : ٦٤ .

(٢) رواه الحاكم وصحّحه وأخرجه البزار (الحلال والحرام في الإسلام : ص ٢٣) ط . المكتب الإسلامي .

عاصمتها (كمبالا) ، وبعد صلاة الجمعة قُدّمت لألقي كلمة في النّاس ، وقال مقدّمي : إنّ هذا هو فلان صاحب كتاب (الحلال والحرام) الذي قرأتموه بلغتكم السواحليّة ، وسألت الأخ بعد ذلك : هل ترجم الكتاب إلى السواحليّة ؟ قال : نعم ، ومن سنوات عدّة ، وطُبع عدّة طبعات .

ومنذ سنوات كنت في الجامعة الإسلاميّة العالميّة في إسلام آباد في باكستان ، والتقيت بالطلبة الصينيّين والطالبات الصينيّات - حوالي خمسين طالباً جاءوا من الصين ليدرسوا في هذه الجامعة - وبعد أن فرغت من المحاضرة والأسئلة ، وإذا بعدد من الطلاب جاءوا بكتاب (الحلال والحرام) يريدون منّي التوقيع عليه ، قالوا : هذا كتاب تُرجم إلى لغتنا الصينيّة ، وما عرفت هذا من قبل .

الكتاب - والحمد لله - انتشر في الآفاق ، بالعربيّة وبغير العربيّة ، باللّغات الإسلاميّة وباللّغات الأجنبيّة .

أصل تكليفي بتصنيف هذا الكتاب :

وأصل هذا الكتاب - في الواقع - كان تأليفه بتكليف من مشيخة الأزهر ، في عهد شيخها الأكبر وشيخنا الشيخ محمود شلتوت رحمه الله ، وبتكليف مباشر من المدير العام لإدارة الثقافة الإسلاميّة الأستاذ الدكتور محمّد البهي رحمه الله ، وكان ذلك بناء على طلبات من الجاليات الإسلاميّة والأقليّات الإسلاميّة في الأقطار المختلفة ، في أوربّا وأمريكا واستراليا وغيرها .

طلبات عدة جاءت تطلب من الأزهر ومن وزارة الأوقاف في مصر : الكتابة في عدّة موضوعات .. ثلاثين موضوعا ، من هذه الموضوعات : ما يحلّ للمسلم وما يحرم عليه ، وكلّفت بالكتابة في هذا الموضوع .

كان الأصل في الكتاب أن يؤلّف ليترجم إلى اللغات الأخرى ، ليقرأه المسلمون باللّغات الأخرى ، وتقرأه الجاليات المختلفة في البلدان المختلفة .

والحمد لله ألّفت الكتاب منذ سنة (١٩٥٩) م ، وأثنت عليه اللجنة المختصة ، وأقرّته مشيخة الأزهر ، وكتب فيه المفكّر الإسلامي المعروف الأستاذ محمد المبارك تقريرًا قال فيه : إنّ هذا الكتاب هو خير كتاب في موضوعه فيما أعلم .

كتاب أُقرّ من أكبر هيئة علميّة إسلاميّة فى العالم ، وهي (الأزهر الشريف) ، ماذا بعد ذلك ؟!

OBEIKAN.COM

ثمّ تلقّاه العالم الإسلامي كلّه بقبول حسن ، وأثنى عليه كبار العلماء ، قال الفقيه الكبير الأستاذ مصطفى الزرقاء : إنّ اقتناء هذا الكتاب واجب على كلّ أسرة مسلمة ، وقرّره الأستاذ الكبير الشيخ علي الطنطاوي فى تدريس مادّة الثقافة الإسلاميّة ، حينما كان يقوم بتدريسها في كلّيّة الشريعة وكلّية التربية بمكّة المكّرمة . وكتب إليّ الأستاذ أبو الأعلى المودودي حين وصلته نسخة من الكتاب يقول : إنيّ أعتزّ بهذا الكتاب واعتبره إضافة جليلة إلى مكتبتي ، وخرّج أحاديثه المحدّث المعروف الشيخ ناصر الدين الألباني [1] .

وقدّمت طالبة - في أوائل الستينيات - من جامعة البنجاب بلاهور في باكستان : دراسة حوله ، حصلت بها على الماجستير ، وكذلك طالب في جامعة كراتشي .

العالم الإسلامي تلقّى الكتاب كلّه بالقبول ، ولم أر أحدًا قال : إنّ الكتاب يحمل دعوة إلى العنف أو أيّ شيىء من هذا .

فالغريب أن يصدر من وزارة الداخليّة الفرنسيّة ، هذا القرار الذي يمنع تداول الكتاب وبيعه ونشره ، باللّغتين العربيّة والفرنسيّة [2] .

أسباب المنع عند الداخليّة الفرنسيّة وتفنيدها :

لماذا ؟ وهذا أعجب .

التعليل والحيثيّات التي استند إليها هذا القرار المتعسّف : إنّ هذا الكتاب فيه لهجة تحمل عداء واضحًا للغرب ، وأنّه مخالف ومعارض للقيم والقوانين الأساسيّة التى تقوم عليها الجمهوريّة الفرنسيّة !! .

هل في الكتاب لهجة معادية للغرب ؟ :

حينما سُئلت عن هذا ، قلت : إنّ هذا كلام غير صحيح بالمرّة ، لا يحمل الكتاب أيّ لهجة أو أيّ نبرة عدائيّة لا للغرب ولا للشرق .

---

(١) في كتابه (غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام) ، وهو نوع من التكريم للكتاب وصاحبه ، فعلماء الحديث من قديم لا يخرّجون أحاديث الكتب المغمورة أو التافهة ، إنّما يخرّجون الكتب التي لها قيمة ووزن علمى وشهرة عند أهل العلم وجماهير الناس .

(٢) علماً بأنّ الكتاب كان يُوزّع في فرنسا منذ عام (١٩٩٠ م) بالتعاون بين داري النشر : (عكاظ) في باريس ، و (ريحان) في المغرب ، فما سرّ هذا التوقيت ؟! .

OBEIKAN.COM

من قرأ الكتاب من أوّله إلى آخره لا يلحظ فيه هذه اللّهجة ، لأنه - كما قلت - كتاب يعلّم المسلمين ما ينبغي أن يعرفوه من أمور الحلال والحرام ، ليس فيه أيّ نبرة عدائيّة إطلاقاً .

بالعكس ، الكتاب في فصله الأخير يتحدث - بإجمال عن (علاقة المسلم بغير المسلم) ، وهي علاقة تقوم علي آيتين من كتاب الله - كما حدّد ذلك الكتاب - في سورة (الممتحنة) تُعتبران دستوراً للعلاقات مع غير المسلمين ، يقول الله تعالى : ﴿ لاَّ يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ يُقَاتِلُوكُمْ فِى الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِى الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ، وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (١) .

هنا انقسم غير المسلمين إلى هذين النوعين :

نوع لم يقاتل المسلمين في الدين ولم يخرجوهم من ديارهم ، وليس بيننا وبينهم عداوة ، فهؤلاء لا ينهى الإسلام « أن تبرّوهم وتقسطوا إليهم » .

العلاقة بيننا وبينهم قائمة على القسط والبرّ ، القسط : العدل ، والبرّ : الإحسان ، البرّ كلمة أعظم من العدل وأوسع ، العدل : أن تعطي الإنسان حقّه ، والبرّ : أن تتفضّل فتعطيه فوق الحق ، وأن تتنازل عن حقّك أحياناً .

هذا هو البرّ ، وهي الكلمة التي يعبر بها المسلمون عن أقدس الحقوق البشريّة وهو : حقّ الوالدين ، حين يقولون : برّ الوالدين .

فالإسلام جاء يحثّ على أن نعامل غير المسلمين الذين لم يقاتلوننا ولم يخرجونا من ديارنا ، بأن نبرّهم ونقسط إليهم ، فإنّ الله يحبّ المقسطين .

منزلة أهل الكتاب في الإسلام :

هذا في شأن غير المسلمين عامّة ، لأنّ هذه الآيات نزلت في شأن المشركين الوثنيّين ، أمّا أهل الكتاب فلهم منزلة خاصّة في الإسلام .

أباح الإسلام للمسلمين أن يأكلوا ذبائحهم ، وأن يتزوّجوا من نسائهم ، كما صرّحت بذلك آية من كتاب الله من سورة (المائدة) ، وهي من أواخر ما نزل من

---

(١) الممتحنة : ٨ ، ٩ .

القــرآن : ﴿ .. وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ ، وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ، والمحْصَنَاتُ مِّنَ المؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ .. ﴾ (١) .

أباح الإسلام للمسلم أن يتزوّج من الكتابيّة ، أي : أن تكون ربّة بيته ، وشريكة حياته ، وأمّ أولاده ، وأن يكون أصهاره من أهل الكتاب ، وأن يكون أجداد أولاده وجدّاتهم وأخوالهم وخالاتهم وأولاد أخوالهم وأولاد خالاتهم من هؤلاء الكتابيّين ، لأن الله ربط بين النّاس بلحــمتين : لحمة النسب ولحمة المصــاهرة كمــا قال تعــالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا .. ﴾(٢) .

فما دام قد أجاز التزوّج من هؤلاء فمعناه : أباح مخالطتهم ، وأباح أن يكونوا أقرباءه ، وأن تقوم بينهم المودّة والرحمة .

أيّ سماحة أعظم من هذه السماحة ؟!

لا يمكن أن يرقى دين في السماحة إلى هذا الحد .

وأكثر من ذلك أنّ (النّصارى) لهم وضعيّة خاصّة ، لهم منزلة أخصّ في أهل الكتاب قال الله تعالى : ﴿ .. وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى .. ﴾ (٣) .

بل الإسلام يوصي بالرحمة بالحيوان :

هذا ما ذكره الكتاب في الفصل الأخير وقال (٤) : وكيف يبيح الإسلام للمسلم أن يسيء إلى غير المسلم أو يؤذيه ، وهو يوصي بالرحمة بكل ذي روح ، وينهى عن القسوة على الحيوان الأعجم .

لقد سبق الإسلام جمعيّات الرفق بالحيوان بثلاثة عشر قرنا ، فجعل الإحسان إليه من شعب الإيمان ، وإيذاءه والقسوة عليه من موجبات النّار .

ويحدّث رسول الله ﷺ أصحابه عن رجل وجد كلباً يلهث من العطش ،

---

(١) المائدة : ٥ . (٢) الفرقان : ٥٤ . (٣) المائدة : ٨٢ .

(٤) أنظر ص ٣١٠ - ٣١١ من كتاب (الحلال والحرام فى الإسلام) ط . المكتب الإسلامي .

OBEIKAN.COM

فنزل بئراً فملأ خفّه منها ماء ، فسقى الكلب حتى روي ، قال الرسول ﷺ : « فشكر الله له فغفر له » فقال الصحابة : يا رسول الله ، إنّ لنا في البهائم أجرا ؟ قال : « في كلّ كبد رطبة أجر » (١) .

وإلى جوار هذه الصورة المضيئة التي توجب مغفرة الله ورضوانه يرسم النبي صورة أخرى توجب مقت الله وعذابه فيقول : « دخلت امرأة النّار في هرّة حبستها ، فلا هي أطعمتها ، ولا هي تركتها تأكل من خَشاش الأرض » (٢) .

فإذا كان الإسلام رحمة عامّة للحيوانات والبهائم فكيف لا يكون رحمة للإنسان ؟

هذا ما جاء به الكتاب .

فكيف يقال : إنّه يحمل لهجة واضحة عدائيّة للغرب ؟!

وأنا قلت لمندوب القسم العربي بهيئة الإذاعة البريطانية حينما سألني عن هذا : أنا أتحدّى الوزير الفرنسي أن يأتي لي بشيء يدلّ على أنّ الكتاب يحمل لهجة عدائيّة للغرب .. في أيّ فصل من الكتاب ؟ وفي أيّ صفحة منه ؟ وفي أيّ سطر ؟ ليدلّني على هذا .

الكتاب لا يحمل أيّ شيء من هذا الذي قاله .

هل في الكتاب خطر على القيم والقوانين الأساسيّة لفرنسا :

كيف يقول : إنّ الكتاب يشكّل خطراً على الأمن العام في فرنسا ، لأنّه يحمل لهجة معادية للغرب بوضوح ، ولأنّه يعارض القيم والقوانين الأساسيّة في فرنسا ؟!

قلت لهم : ما القيم التي يعاديها الكتاب وتقوم عليها فرنسا ؟ قال لي مندوب الإذاعة البريطانيّة : إنّهم يقولون : إنّ الكتاب يدعو المرأة إلى طاعة زوجها ، وهذا تفريق بين الجنسين ، والدستور الفرنسي يسوّي بينهما .

---

(١) رواه مالك ، والبخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، وابن حبان في صحيحه بلفظ قريب ، من حديث أبى هريرة ، وانظر تعليق الشيخ القرضاوي عليه فى (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١ / ٣٠٠ برقم ٤٩٥) .

(٢) رواه البخاري للحديث روايات أخرى أنظرها في (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢ / ٦٢٨ برقم ١٣٣٣) ، والمراد بخشاش الأرض : حشرات الأرض ونحوها .

OBEIKAN.COM

وعرفت من الإخوة في فرنسا أنّهم قالوا : إنّ الكتاب يقول إنّه يجوز للزوج أن يضرب امرأته الناشز ، صحيح إنّ الكتاب قال إنه يضربها ضرباً خفيفاً غير مبّرح ولا يكون في الوجه ... الخ ، ولكن أجاز الضرب ، وهذا معارض للقوانين الفرنسيّة .

قلت له : هذا ليس رأى الكتاب ، وليس رأى المؤلّف ،هذا هو الإسلام ، هذا ما جاء في القرآن ، القرآن يقول : ﴿ .. وَاللاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً .. ﴾ [1] هذا في حالة النشوز ، وليس في الحالة العاديّة .

والقرآن لم يأمر بالضرب ابتداء وإنّما قال : « فعظوهنّ » . وينبغى للرجل - عند حالة النشوز - أن يبدأ بالوعظ .. بالكلمة المؤثّرة .. بالإرشاد الحكيم .. بتخويف امرأته من الناحية الدينيّة ومن الناحية الدنيوية ، وينبغي أن يستمر في ذلك فترة من الزمن .

فإذا لم يُجد هذا انتقل إلى المرحلة الثانية وهي : الهجر في المضجع .. في السرير ، لا يعتزل عنها في حجرة أخرى ، بل في نفس المضجع ، لعلّه يوقظ فيها غريزة الأنثى ، فتراجع نفسها ، وتتخلّى عن نشوزها .

ثمّ إذا لم تُجد هذه الوسيلة ولا تلك ، يلجأ إلى هذه الوسيلة الأخيرة : الضرب ، لجوء المضطرّ .

وقلت في الكتاب : إنّ هذا قد يصلح لبعض النساء ، وفي بعض الأحوال ، وبقدر معينّ ، وليس أمرًا عامًّا ، لأنّه قد يفسد في بعض النساء ، بعض النساء لا تحتمل الضرب ، ولا تقبله ، ولكن بعض النساء ربّما تتلذّذ بالضرب .

والزوج الحكيم هو الذي يعرف متى يستخدم هذا الأمر ، إن اضطرّ إليه ، وأُجبر عليه .

والنبي ﷺ حينما علّق على هذا الأمر قال : « أما يستحي أحدكم أن يضرب امرأته أوّل النّهار ويجامعها آخره » [2] يعني : حسن العشرة لا يليق منه أن يضرب الرجل امرأته .

---

(١) النساء : ٣٤ .

(٢) أنظر : البخاري - كتاب النكاح ، باب : ما يكره من ضرب النساء ، وقد روي في ذلك حديث عبد الله بن زمعة ، وقد رواه مسلم وأحمد وأصحاب السنن بألفاظ =

وقال عليه الصلاة والسلام عن الذين يضربون النساء : « ولا تجدون أولئك خياركم » [1] ، خيار الناس لا يضربون نساءهم .

ولذلك نجد النبي عليه الصلاة والسلام لم يضرب في حياته امرأة ولا خادماً ولا دابّة ولا شيئاً ما .

وإذا اضطرّ الإنسان للضرب ، فليس معنى هذا أن يأتي بسوط أو بخشبة ويضرب بها امرأته ، إنّما هو من نوع ما قاله النبى ﷺ لخادم عنده اغضبته في أمر من الأمور ، فأمسك بالسواك وقال لها : « لولا مخافة القَوَد [أي القصاص] يوم القيامة لأوجعتك بهذا السواك » [2] .

= مختلفة ، ذكرها الحافظ ابن حجر في (الفتح : ٩ / ٣٠٣) حديث (٥٢٠٤) . وانظر : (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان : ٩ / ٤١٩٠) .

(١) رواه أبو داود (٢١٤٦) وابن ماجه (١٩٨٥) والدارمي (٢ / ١٤٧) والنسائي في الكبرى ، وابن حبان في صحيحه (الإحسان : ٩ / ٤١٨٩) والحاكم وصحّحه ووافقه الذهبي (٢ / ١٨٨ ، ١٩١) كلّهم عن ابن أبى ذباب ، وله شاهد من حديث ابن عباس عند ابن حبان (٤١٨٦) وآخر مرسل عند البيهقي (٧ / ٣٠٤) من حديث أم كلثوم بنت أبى بكر ، ونصّ الحديث كما عند ابن حبان : « لا تضربوا إماء الله » قال : فذئر النساء (أي نشزن) وساء أخلاقهنّ على أزواجهنّ ، فقال عمر بن الخطاب : ذئر النساء وساءت أخلاقهنّ على أزواجهنّ ، منذ نهيت عن ضربهنّ ، فقال النبى ﷺ : « فاضربوا » فضرب الناس نساءهم تلك الليلة ، فأتى نساء كثير يشتكين الضرب ، فقال النبي حين أصبح : لقد طاف بآل محمّد الليلة سبعون امرأة كلّهنّ يشتكين الضرب ، وأيم الله لا تجدون أولئك خياركم » ، وأمّا حديث ابن عباس الذي أشرنا إليه ، فنصه : إنّ الرجال استأذنوا رسول الله في ضرب النساء ، فأذن لهم ، فضربوهنّ ، فبات فسمع صوتاً عاليا ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : أذنت للرجال فى ضرب النساء ، فضربوهنّ ، فنهاهم ، وقال : « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي » .

(٢) رواه الطبرانّي في الكبير ، وأبو نعيم في الحلية ، والحاكم في المستدرك ، وأبو يعلي فى مسنده ، عن أمّ سلمة رضي الله عنها ، ورمز له السيوطيّ بالحسن (الجامع الصغير : ٢ / ١٣٣) ، قال المنذري : رواه أبو يعلى بأسانيد أحدها جيّد (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢ / ٩٣١ برقم ٢٢٦١) ، وقال الهيثمي : أسانيده عند أبي يعلى والطبراني جيّدة (فيض القدير : ٥ / ٣٤٤ برقم ٧٥٢٥) .

OBEIKAN.COM

فهذا ما جاء به الكتاب ، ولم يفتح الكتاب الباب ليقول للرجال : اضربوا نساءكم .

حدود طاعة المرأة للرجل :

أمّا مسألة إنّ المرأة تطيع الرجل ، فهذا مبنيّ على قوله تعالى : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ، فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ .. ﴾ [1] ، الرجال هم المسؤولون .

أيّ شركة لابدّ أن يكون لها مدير ، لابدّ أن يكون لها رئيس ، لا يمكن أن يكون لها رئيسان متكافئان في السلطات ، المركب التي فيها رئيسان - كما يقولون - تغرق ، لابدّ من رئاسة مسؤولة ، فمن أحقّ بالرئاسة : الرجل أوالمرأة ؟

القرآن قال : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ .. ﴾ [2] ، ومن لطائف التعبير القرآني أنّه لم يقل : الرجال قوّامون على النساء بما فضّل اللهّ الرجال على النّساء ، لا ، ولكنّه قال : « بما فضّل الله بعضهم على بعض » أي أنّ النساء مفضّلات فى بعض الجوانب ، والرجال مفضّلون في بعض الجوانب .

المرأة مفضّلة بما لديها من جهاز عاطفي هيّأه الله فيها لتكون أمًّا ، والرجل عنده الجهاز العقلي أقوى ، فهو أبصر بالعواقب ويمكن أن يتحكّم في عواطفه أكثر من المرأة ، ثمّ هو الذي ينفق على تأسيس الأسرة ، يدفع مهرًا ويؤسّس بيتًا ، فإذا انهدمت الأسرة انهدمت على أمّ رأسه .

من أجل هذا جعل الله الرجال قوّامين على النّساء .

وهذا لا ينفي المساواة ، لأنّ أصل المساواة ثابت بالكتاب والسنّة :

القرآن الكريم قال : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى ، بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ .. ﴾ [3] ، أي أنّ المرأة من الرجل والرجل من المرأة ، كلّ صنف يكمّل الآخر ، ليس أحدهما خصماً لصاحبه ، ولا عدوًّا له .

---

(١) النساء : ٣٤ . (٢) النساء : ٣٤ .

(٣) آل عمران : ١٩٥ .

OBEIKAN.COM

والمرأة مكلّفة مثل الرجل تماماً ، فالتكاليف القرآنيّة للجميع .. حينما يقول : « يا أيها الذين آمنوا » موجّهة إلى الرجال وإلى النساء جميعا ، حتى التكاليف الاجتماعية يقول القرآن الكريم: ﴿ وَالْمؤْمِنُونَ وَالمؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ .. ﴾ [1] ، المرأة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر مثل الرجل .

فليست المرأة دون الرجل في الإنسانيّة ، ولا في الواجبات الاجتماعيّة والواجبات الدينيّة ، هى مكلّفة مثل الرجل ، وتُجازى بالجنّة مثل الرجل ، أو بالنّار مثل الرجل ، المسؤوليّة واحدة ، والجزاء واحد ، هذا هو ما جاء به الإسلام .

والنّبيّ ﷺ يقول : « إنّما النّساء شقائق الرجال » [2] .

عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - وقف أمام المرآة يوماً يجمّل من نفسه ، ويأخذ من لحيته ، ويرجّل من شعره ، فقال له نافع مولى ابن عمر : ما هذا يا ابن عمّ رسول الله ، أتقف أمام المرآة تجمّل في نفسك ، وإليك يضرب النّاس أكباد الإبل من شرق وغرب ليستفتوك في دين الله ؟! قال : وماذا في هذا يا نافع ؟ إنّي أتزينّ لامرأتي ، كما تتزيّن لي امرأتي ، وإنّي أجد هذا في كتاب الله ، قال له : أين هذا في كتاب الله ؟ قال : في قول الله تعالى : ﴿ .. وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ .. ﴾ [1] .

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ : أي كما أنّ على المرأة أن تتجمّل لزوجها ، على الرجل أن يتزيّن لزوجته ويتجمّل لها .

﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ : بعض المفسّرين يقول : هي درجة القوامة والمسؤوليّة ، وبعض المفسّرين - كالإمام الطبري - يقول : « وللرجال عليهنّ درجة »

---

(١) التوبة : ٧١ .

(٢) رواه عن عائشة : أحمد : (٦ / ٢٥٦) وأبو داود (٢٣٦) والترمذي (١١٣) والدارمي (١ / ١٩٥) كما رواه أحمد عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة عن جدته أم سليم (٦ / ٣٧٧) ونسبه أيضاً إلى البزّار عن أنس فى صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢٣٣٣) .

(٣) البقرة : ٢٢٨ .

أى فى رعاية حقوق النساء ، أنّ الرجل عليه أكثر من المرأة ، ممّا ينبغي أن يُراعى في حفظ الحقوق ، وفي رعاية الأمور [1] .

هذا ما جاء به الإسلام ، وهذا ما كان وجهة الكتاب فيه ، فكيف يُقال إنّ الكتاب يعارض القيم والقوانين التى تقوم عليها الجمهوريّة الفرنسيّة ويشكّل خطرًا على الأمن العام ؟! .

استياء المسلمين والأحرار في فرنسا :

الواقع أنّ المسلمين استاؤوا في فرنسا ، واتحاد المنظمات الإسلاميّة قاد حملة طيبّة ، وكتب مذكّرة إلى وزارة الداخلية ، وتجاوب الإعلام الفرنسي بحقّ في هذه القضيّة ، حتى كتب أحد الكُتّاب الفرنسيّين في جريدة (ليموند) يدافع عن الكتاب ، وينوّه بما فيه من سماحة، واتحاد الناشرين الفرنسيّين قال : إنّنا سنطبع الكتاب بالفرنسيّة ونوزعه رغم أنف وزارة الداخليّة ، وتجاوب الكثيرون وقالوا : إنّ الكتاب يحمل روح الاعتدال ، وليس فيه روح العنف بالمرّة ، ولا يشكّل أيّ خطر كما تدّعي وزارة الداخليّة .

كان الرأي العام في غالبه ضدّ هذا القرار المتعسّف الظالم ، ولذلك سرعان ما

---

(١) قال الإمام الطبري بعد أن عدّد أقوال أهل التأويل في هذه المسألة : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ما قاله ابن عباس ، وهو أنّ الدرجة التي ذكر الله تعالى ذكره في هذا الموضع : الصفح من الرجل لامرأته عن بعض الواجب عليها ، وإغضاؤه لها عنه ، وأداء كلّ الواجب لها عليه ، وذلك أنّ الله تعالى ذكره قال : « وللرجال عليهنّ درجة » عقيب قوله : « ولهنّ مثل الذي عليهنّ بالمعروف » فأخبر تعالى ذكره أنّ على الرجل من ترك ضرارها في مراجعته إياها في أقرائها الثلاثة وفي غير ذلك من أمورها وحقوقها ، مثل الذي له عليها من ترك ضراره في كتمانها إيّاه ما خلق الله في أرحامهنّ وغير ذلك من حقوقه ، ثمّ ندب الرجال إلى الأخذ عليهنّ بالفضل إذا تركن أداء بعض ما أوجب الله لهم عليهنّ فقال تعالى ذكره : « وللرجال عليهن درجة » بتفضّلهم عليهن ، وصفحهم لهنّ عن بعض الواجب لهم عليهنّ ، وهذا هو المعنى الذي قصده ابن عباس بقوله : ما أحبّ أن استنظف جميع حقّي عليها ، لأنّ الله تعالى ذكره يقول : « وللرجال عليهنّ درجة » ، ومعنى الدرجة : الرتبة والمنزلة ، وهذا القول من الله تعالى ذكره وإن كان ظاهره ظاهر الخبر ، فمعناه معني ندب الرجال إلى الأخذ على النساء بالفضل ليكون لهم عليهن فضل درجة (جامع البيان : ٢ / ٤٥٥) ط . البابي الحلبي .

تراجع الوزير ، وبعث مستشاره إلى عميد مسجد (باريس) يطلب إليه أن يلتمس الإفراج عن هذا الكتاب والرجوع عن هذا القرار ، حفظاً لماء الوجه .

وفعلاً كتب عميد مسجد (باريس) كتاباً يلتمس فيه هذا الأمر ، وذهب الوزير في يوم الثلاثاء الماضي إلى المسجد وأعلن أنّه سيلغي هذا القرار ، وأنّه كان خطأ إداريًّا سخيفاً !!

بل هو خطأ سياسيّ وثقافي وحضاري :

وهو في الواقع خطأ إدارى ، وخطأ ثقافي ، وخطأ سياسيّ ، وما كان ينبغي لبلد - مثل فرنسا - يزعم أنّه بلد الحرّيّات وأبو الحرّيّات ... الخ ، أن يقع في مثل هذه الغلطة الواضحة الفاضحة ، ويمنع كتابًا في بلد يدّعي أنّ فيه حرّيّة الرأي وحرّيّة النشر وحرّيّة التعبير ... الخ .

حينما أُرسل إليّ بالأمس هذا الكلام ، قالوا : ما تعليقك على هذا ؟ قلت : والله أنا أرحّب بهذا ، الرجوع إلى الحقّ فضيلة ، وقد قال سيّدنا عمر - رضي الله عنه - في رسالته الشهيرة في القضاء : لا يمنعنك قضاء قضيته بالأمس وهُديت إلى رشدك فيه اليوم ، أن تراجع فيه نفسك ، فإنّ الحق قديم ، وإنّ الرجوع إلى الحقّ خير من التمادى في الباطل ، فإذا كان الوزير رجع إلى الحقّ فنحن نرحّب بهذا ونحيّيه على هذا .

ولكنّي - كما قلت لجريدة الشرق - أريد خطوة أخرى تكمّل هذه الخطوة ، وتكتب في سجلّ هذا الوزير ، وهي الرجوع عن القرار المتعسّف في مسألة الحجاب ، فقد منعوا الطالبات المسلمات من ارتداء الحجاب في مدارس فرنسا !

والحجاب فرض دينيّ على المسلمة ، الله تعالى يقول : ﴿ .. وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ، وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ .. ﴾ (١) ، فالمسلمة ملتزمة بأن تغطّي رأسها ، وتغطّي نحرها وذراعيها وساقيها ، هذا فرض من الله تبارك وتعالى ، وليست المسلمة حرّة فيه .

فينبغي أن تُترك للمسلمة حرّيّة ممارسة دينها ، ولا تُجبر على أمر يخالف شرع ربها ، فهذا ينافي الحرية الدينية ، ويُنافي الحرية الشخصيّة .

---

(١) النّور : ٣١ .

OBEIKAN.COM

وهذا ما قلته لهم حينما اشتركت في المؤتمر الذي كان بين المسلمين وغير المسلمين في شهر أكتوبر من العام الماضي .

العبرة من هذا الدرس :

هذه - أيّها الإخوة - هي قصّة هذا الكتاب ، وقصّة وزارة الداخليّة الفرنسيّة .

والعبرة من هذا : أننّا نحن المسلمين ينبغي لنا أن نتمسّك بحقنا ولا نفرّط فيه ، صحيح أنّه - للأسف - لم تقم أيّ جهة من الجهات المسؤولة - لا منظمة المؤتمر الإسلامي ، ولا جامعة الدول العربية ، فيما عدا المنظمة الإسلاميّة للثقافة والتربية والعلوم لم يقم أحد من هؤلاء - بأيّ خطوة ، وهذا يدلّنا - للأسف - على أن مؤسساتنا متخلفة ولا تحسّ بالأمور ، ولكن إخوتنا في فرنسا قاموا بما ينبغي عليهم .

نحن أصحاب الحق ، نحن ندعو إلى الدين الحق ، وما دمنا ندعو بالحكمة والموعظة الحسنة ونحاور بالتي هي أحسن ، فلا يمكن أن نتخلّى عن موقفنا .

نحن أصحاب الرسالة الخالدة ، الرسالة التي وضع الله فيها الهداية للبشريّة ، الهداية التي تتضمّن كلمات الله الأخيرة للبشر : ﴿ .. وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (١) .

نتمسّك بحقنا ولا نفرّط فيه أبدًا ، وندعو إلى ديننا ، والحمد لله هذه الدعوة تلقى صدى واسعاً .

كان من أسباب منع الكتاب أنّهم قالوا : إنّ الكتاب يلقي رواجًا وانتشارا واسعاً بين المسلمين (٢) !! .

---

(١) النحل : ٨٩ .

(٢) والغريب العجيب أن يصّرح بذلك مستشار وزير الداخليّة للشعائر التعبديّة (آندرى داميان) حيث قال : « نحن اخترنا هذا الكتاب لأنّه لقي نجاحاً كبيراً فهو إجراء بيداغوجي» !! وهنا بيت القصيد ، فالكتاب أصبح ممنوعاً فى جميع الأراضي الفرنسيّة لمجرّد كونه وجد إقبالاً كبيراً لدى المسلمين الفرنسيّين ، وهذا - في حدّ ذاته - يسبّب مصدر إحراج للإدارة الفرنسيّة التى تتابع باهتمام وقلق شديدين تنامي الوعي الإسلامي بين الجاليات الإسلاميّة في فرنسا ، بالإضافة إلى تزايد عدد معتنقي الدين الإسلامي من الفرنسيّين أنفسهم .

OBEIKAN.COM

هل هذا سبب ؟!

الكتاب يلقى رواجاً لأنّه يحمل كلمة الإسلام الصادقة ، فلا بدّ أن يلقى رواجاً بين المسلمين ، وبين غير المسلمين كثير من غير المسلمين - والحمد لله - قرأ الكتاب وهداهم الله بسببه .

كلمة الحقّ لا بدّ أن تستمر ، ولابدّ أن نستمسك بها ، والله غالب على أمره ، والله تعالى يقول : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ .. ﴾ [1] وصدق الله العظيم .

أقول قولي هذا ، واستغفر الله تعالى لي ولكم ، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم ، وادعوه يستجب لكم .

* *

*** الخطبة الثانية :**

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون :

فضل عشر ذي الحجّة :

نحن الآن في عشر ذي الحجّة ، أفضل أيّام العام التي جاء فيها حديث ابن عباس في البخاريّ : « ما من أيّام العمل الصالح فيها أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من هذه الأيام » يعني أيّام العشر [2] .

يستحب فيها الصيام ، ويستحب فيها الذكر ، ويستجب فيها الصدقة ، ويستحب فيها صلة الرحم ، ويستحب فيها كلّ عمل خير ، وهو يضاعف أجره عند الله تبارك وتعالى .

ومن أعظم هذه الأيام أجراً يوم التاسع منها ، وصيامه - كما جاء عن النبى

---

(١) الأنبياء : ١٨ .

(٢) رواه البخاري ، والترمذي ، وأبو داود ، وابن ماجه ، والطبراني في الكبير بإسناد جيّد ، وأبو داود الطيالسي في مسنده ، وتتمته: قالوا : يا رسول الله ، ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : « ولا الجهاد في سبيل الله ، إلاّ رجل خرج بنفسه وما له ، ثمّ لم يرجع من ذلك بشييء » . انظر : (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١ / ٣٥١ - ٣٥٢ برقم ٦١٠) (شرح السنة للبغوي : ٤ / ٣٤٥ برقم ١١٢٥) .

OBEIKAN.COM

ﷺ - يكفّر ذنوب سنتين ، قال : « صيام يوم عرفة إنّي أحتسب لى الله أن يكفّر السنة التي بعده ، والسنة التي قبله » [1] . فصيام هذا اليوم ينبغي أن نحرص عليه .

ومن فجر يوم عرفة يبدأ التكبير عقب الصلوات ، إلى عصر آخر أيّام التشريق (٢٣ صلاة) .

وفي هذه الأيام ينبغي للمسلم القادر أن يحرص على الأضحية ، ضحّوا فإنّها « سنّة أبيكم إبراهيم » [2] ، إنّها تذكّرنا بما حدث بين إبراهيم وإسماعيل من ذلك الموقف الخالد ، الذى أسلم الوالد فيه ولده ، وأسلم الولد فيه رقبته لله عزّ وجلّ ، ففداه الله بذبح عظيم [3] ، وكانت سنّة الأضاحي تذكيراً بهذا الموقف الإنسانيّ الخالد .

الأضحية مشروعة بالكتاب والسّنّة والإجماع ، ويستطيع المسلم أن يضحّي بنفسه ، أو يوكّل من يضحّي عنه ، ومن أجل ذلك قامت جمعيّة قطر الخيريّة ، وقامت المصارف الإسلاميّة ، وقامت الجهات المختلفة للتبرّع بثمن الأضحية في بلد آخر .

فتستطيع إن كنت تريد أن تجمع الحسنتين : أن تضحّي هنا وتضحّي في بلد آخر ، أو كنت لا تريد أن تضحى هنا ما دام الناس يجدون اللحم ، وتكون أضحيتك

---

(١) رواه مسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، والترمذي واللفظ له ، من حديث أبى قتادة (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١ / ٣١٦ برقم ٥٢٥ .

(٢) عن زيد بن أرقم قال : قال أصحاب رسول الله ﷺ : يا رسول الله ، ما هذه الأضاحي ؟ قال : « سنّة أبيكم إبراهيم » ، قالوا : فما لنا فيها يا رسول الله ؟ قال : « بكل شعرة حسنة » ، قالوا : فالصوف يا رسول الله ؟ قال : « بكلّ شعرة من الصوف حسنة » . الحديث عند ابن ماجه (٣١٢٧) ، والحاكم (٢ / ٣٨٩) وصحّحه ، وقال الذهبي : قال أبو حاتم : عائذ الله منكر الحديث . وفي الزوائد : في إسناده أبو داود ، واسمه نفيع بن الحارث ، وهو متروك ، واتهم بوضع الحديث .

(٣) قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ، فَانظُرْ مَاذَا تَرَى ، قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ، سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ، إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ (الصافات : ١٠٢ - ١٠٩)

OBEIKAN.COM

في البوسنة والهرسك .. في فلسطين .. في الفلبين .. في البنغلادش .. في الصومال .. في السودان .. في أيّ بلد آخر من بلاد المسلمين الفقيرة .

والأضحية هناك أرخص من هنا ، تستطيع بثمن الأضحية الواحدة هنا أن تضحّي بثلاث في البلاد الأخرى ، وهم أشدّ حاجة ، ووكيلك هناك يذبح باسمك ، فكأنّك حاضر ، الوكيل يقوم مقام الأصيل .

فعلينا أن ننتهز هذه الفرصة ، ونعطي إخواننا بعض ما تجود به أنفسنا ، فالمسلمون بعضهم أولياء بعض ، والمؤمنون إخوة ، والمسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله ، ولا يتركه .

هذه مناسبة العيد ، وهي مناسبة عظيمة وكريمة ، لا ينبغي أن يأتي العيد على إخواننا المسلمين وهم لا يجدون ما يقوتهم ، فلنوسّع عليهم كما وسّع الله علينا ، شكراً لنعمة الله سبحانه وتعالى : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ ﴾ (١) ، ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ .. ﴾ (٢) .

أسأل الله تبارك وتعالى أن يعلّمنا ما ينفعنا ، وأن ينفعنا بما علّمنا ، وأن يفقهنا في ديننا ، وأن يجعل لنا من أمرنا رشدا ، وأن ينصر الإسلام ويعزّ المسلمين .

اللهم اجعل كلمة الإسلام هي العليا ، واجعل كلمة أعداء الإسلام هي السُفلى .

اللهم انصر إخواننا المجاهدين في سبيلك في فلسطين ولبنان ، وفي البوسنة والشيشان ، وفى كشمير والسودان ، وفي كلّ مكان يقاتل فيه أبناء الإسلام .

اللهم خذ بأيدي إخواننا المضطهدين والممتحنين ، اللهم افكك بقوتك أسرهم ، واجبر برحمتك كسرهم ، وتول بعنايتك أمرهم .

اللهم اجعل هذا العيد بشير خير ونصر لأمّة الإسلام ، واجعله نذير وبال وحسرة على أعداء الإسلام حيثما كانوا .

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِى أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الكَافِرِينَ ﴾ (٣) .

---

(١) الرحمن : ٦٠ .
(٢) إبراهيم : ٧ .
(٣) آل عمران : ١٤٧ .

OBEIKAN.COM

اللهم ولّ أمورنا خيـــــارنا ، ولا تولّ أمورنا شرارنا ، وارفع مقتك وغضبك عنَّا ، ولا تسلّط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا ، واجعل هذا البلد آمنا مطمئنًّا سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين .

عباد الله : يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

اللّهمّ صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمّد ، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيرا .

﴿ .. وَأَقِمِ الصَّلاَةَ ، إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ، وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ ، وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٢) .

* * *

---

(١) الأحزاب : ٥٦ .

(٢) العنكبوت : ٤٥ .

OBEIKAN.COM